مفهوم نقض المراتب عند ابن جنّي في كتابه الخصائص

م . م عمر عبد عيد

جامعة الأنبار رئاسة الجامعة

omar.abd@uoanbar.edu.iq

م . م محمد جبير حسن

جامعة الفلوجة كلية العلوم الاسلامية قسم اللغة العربية

mohammed.jubaier.h@uofallujah.edu.iq

The concept of Reversal rinks according to Ibn jinni in his book AL-Khasa'i

Omar Abed Eied

Mohammed Jubier Hasan

Summary
Other words in all Arabic sentences and phrases, some of which have the right to precede others among themselves: (the original arrangement of words), and it is possible that this arrangement may change and we will go. At that another arrangement is the original without the original in terms of the arrangement, its arrangement, the interpretation of this matter, its interpretation in the response of the Arabic language and its diversity.
This in itself is what linguists have called: (the denunciation of ranks), and one of the most prominent scholars who dealt with this concept was the distinguished scholar Abu al-Fath Othman Ibn Jinni in his book (The Characteristics), and therefore I stood on the details of this concept and the purposes to which it comes out in general and when Ibn Jinni in particular, I started dividing the research into four topics, the four topics included the limit of rank in language and terminology, as well as the purposes to which the introduction and delay come out and its conditions, and the concept of this method according to Ibn Jinni (may God have mercy on him). Reversal of ranks Ibn Jinni

ملخص البحث

لكل كلمة في اللغة العربية مرتبة ودرجة أي مكانها الخاص بين الكلمات الأخرى في جميع الجمل والعبارات العربية، فمنها ما حقه التقديم على غيره ومنها ما حقه التأخير عن غيره أي ما يطلق عليه:(الترتيب الأصل للكلمات)، ولكن من الممكن أن يتغير هذا الترتيب ونذهب عند ذلك الى ترتيب آخر هو دون الأصل من حيث الترتيب ولكن هذا الترتيب غالبا ما يصاحبه الكثير من المعاني المتجددة وذلك دليل على مرونة اللغة العربية وتنوع أساليبها.وهذا بحد ذاته ما أطلق عليه علماء اللغة:(نقض المراتب) ولقد كان من أبرز العلماء الذين تطرقوا لهذا المفهوم هو العالم الفذ أبو الفتح عثمان ابن جنّي في كتابه (الخصائص) ولذا فقد وقفت على تفاصيل هذا المفهوم و الأغراض التي يخرج اليها بشكل عام وعند ابن جني بشكل خاص، فقد شرعت في تقسيم البحث إلى أربعة مباحث ، تضمنت المباحث الأربعة حد الرتبة في اللغة والاصطلاح، وكذلك الأغراض التي يخرج اليها التقديم و التأخير وأحواله، ومفهوم هذا الاسلوب عند ابن جني (رحمه الله).

الكلمات المفتاحية: نقض المراتب ابن جنّي

المقدمة

الحمدُ للهِ الذي أنزلَ القرآنَ بلسانٍ عربيٍّ مبين, والصلاةُ والسلامُ على النبيِّ العربيِّ الأمين المبعوث رحمةً للعالمين وعلى آلهِ وصحبهِ ومن سارَ على نهجهِ إلى يومِ الدِّينِ أما بعدُ:فإنَّ لألفاظ اللغة العربية مراتب ودرجات، و كلَ لفظة ينبغي أن تحتفظ بمرتبتها، فرتبة الفاعل بعد الفعل، وقبل المفعول به ، ورتبة المبتدأ قبل الخبر وهناك ما هو عمدة فلا يجوز الاستغناء عنه ، وهناك الفضلة والتي له دلالتها في المعنى، ولكن يجوز الاستغناء عنها بوصفها ليست ركنا أساسيا، وهذه المراتب حسب مقتضى الكلام ، فقد يجب تقديمها وقد يجب تأخيرها، وقد يستوي التقديم والتأخير ، ولكن لهذا التقديم قيود نحوية ودلالات بلاغية، وتناول ابن جني في كتابه الخصائص هذا العنوان باسم (نقض المراتب إذا عرض هناك عارض)، وقد تناوله بإيجاز ذاكرا مواضع الوجوب، والامتناع، والجواز ، وقد تطلب مني البحث تقسيمه إلى أربعة مطالب كان **المطلب الأول:** تناولت فيه مفهوم الرتبة لغة واصطلاحًا وأنواع الرتبة في العربية وأهميتها، وتناولت في **المطلب الثاني:** الأغراض التي يخرج إليها التقديم والتأخير، وتناولت في **المطلب الثالث:** أحوال التقديم والتأخير من جهة المعنى والدلالة أربعة أحوال، وتناولت في **المطلب الرابع:** مفهوم نقض المراتب عند ابن جني. ثمَ ذكرت في الخاتمة أبرز النتائج، وذيلته بثبت للمصادر والمراجع.وختاما فما كان من صواب في هذا البحث فبتوفيق الله تعالى، وما كان من خطأٍ أو تقصير فمن نفسي والله اسال أن يوفقنا لما يحب ويرضى.

المطلب الأول الرتبة : حدّها ، أنواعها ، أهمية نقضها .

أولا: مفهوم الرتبة لغة واصطلاحًا.

الرتبة لغةً: جاء في لسان العرب: أنَّ (الرتبة) مشتقة من الفعل الثلاثي(ر ، ت، ب) يقال: المكانة والمنزلة، يقال: رَتَبَ الشيءُ أي ثَبَتَ فلم يتحرك، رَتَبَ رُتوبَ الكَعْب أي انتصب انتصابه، ورتَّبه تَرْتيباً: أثبته.[1] فالرتبة عند ابن منظور هي المنزلة والمكانة، وكذلك جاء في الصحاح: " المَنْزِلَةُ، وكذلك المَرْتَبَةُ. قال الأصمعي:المرتَبةُ: الرتبة والمَرْتَبَةُ، وهي أعلى الجبلِ. وقال الخليل: المراتب في الجبل والصحارى، وهي الأعلامُ التي تُرَتَّبُ فيها العيونُ والرُقباءُ. وتقول: رَتَّبْتُ الشيءَ تَرْتيباً. وَرَتَبَ الشيءُ يَرْتُبُ رُتوباً، أي ثَبَتَ؛ يقال: رَتَبَ رُتوبَ الكَعْبُ، أي انتصب انتِصابَه. وأَمْرٌ راتب ، أي دائمٌ، وأَمْرٌ تُرْتَبٌ، على تُفْعَلٍ بضم التاء وفتح العين، أي ثابتٌ[2] ، فكما نلحظ هنا تعدد المعاني التي جاءت في الصحاح ومنها: الموضع والمنزلة والثبات والاستقرار.

ثانيًا: الرتبة اصطلاحًا: الموقع الذكري للكلمة في جملتها، يقال: رتبة الفاعل التقدم على المفعول ، ورتبة المفعول التأخر عن الفاعل، ورتبة المبتدأ التقدم على الخبر، ورتبة الخبر أنَّ يتأخر عن المبتدأ، فإن تقدمت قيل: إنَّها متقدمة رتبة، وأن تأخرت عمَّا هو مقرر لها، قيل: إنَّها متأخرة رتبة[٣]، وقال تمام حسان: هي علاقة بين جزأين مرتّبين من أجزاء السياق، يدل كل موقع منهما من الآخر على معناه[١]، وتصبح الرتبة محفوظةً إذا كان موقع الكلمة ثابتا لا يقبل التغيير تقدما أو تأخراً ، ولو اختلّ هذا الموقع لاختل التركيب باختلاله، وإن كان موقع الكلمة عرضة للتغير سمّيت غير محفوظة[٢].

ثانيا: أنواع الرتبة تنقسم الرتبة في العربية إلى قسمين:

الأول: رتبة البنية: ويقصد به ترتيب الحرف أو الصوت مع الآخر وهكذا حتى تتم البنية أو الصيغة، وهذه الرتبة لاتهم درس النحو وإنَّما يهتم بدراستها علم الأصوات والصرف. [٣].

الثاني: الرتبة النحوية:هي ترتيب الكلمة داخل الجملة، وهذا يهتم بدراسته علم النحو، ويقصد به الموقع أو المكان الذي تأخذه كلمة ما طبقا لتحقيق العلاقات بين الكلمات وهو ما يسميه النحاة بـ(التقديم والتأخير)،أي: الترتيب بين أبواب النحو.[٤]

ثالثًا: أهمية نقض المراتب نقض المراتب كما سمَّاه ابن جني أو ما يعرف بالتقديم والتأخير، باب عظيم من أبواب النحو والبلاغة، وكل منهما يكمل الآخر ولا ينفك عنه، وكل كلمة تلفظها في عبارة أو جملة تجد موقعها الإعرابي، فهي إما أن تكون أو منصوبة أو مجرورة مرفوعة أو مجزومة حسب موقعها الإعرابي، وهذا ما يعرف بالمراتب، ولكل كلمة مرتبة، فإذا كانت فاعلا فمرتبتها بعد الفعل وقبل المفعول به، وإذا كانت فمرتبتها بعد المبتدأ خبرا وهكذا، وهذه المراتب قد يعتريها التغيير، وتنتقض هذه المراتب، فقد يتقدم المفعول على الفاعل، والخبر على المبتدأ وهكذا، وهذا النقض في المراتب قد يكون واجبا وقد يكون ممتنعا وقد يكون جائزا؛ وذلك لأسباب نحوية وبلاغية، فألفاظ اللغة العربية مراتب ودرجات، وكل لفظة ينبغي أن تحتفظ بمرتبتها، فرتبة الفاعل بعد الفعل، وقبل المفعول به، ورتبة المبتدأ قبل الخبر. وهناك ما هو عمدة فلا يجوز الاستغناء عنه ، وهناك الفضلة والتي لها دلالتها في المعنى، ولكن يجوز الاستغناء عنها بوصفها ليست ركنًا .أساسيا وهذه المراتب حسب مقتضى الكلام ، فقد يجب تقديمها وقد يجب تأخيرها، وقد يستوي التقديم والتأخير، ولكن لهذا التقديم قيود نحوية ودلالات بلاغية، وقد ألمح إمام النحاة سيبويه إلى أهميته بالنسبة للمتكلم والسامع حين أشار إلى أنَّ تقديم المفعول به على فاعله في قولك: ضرب زيدا عبدالله؛ لأنّك إنَّما أردت به مُؤخّرا ما أردت به مقدَّمًا، ولم تُرد أن تَشغلَ الفعل بأوَّلَ منه وإنْ كان مؤخراً في اللفظ. فَمن ثمَّ كان حدّ اللفظ أن يكون فيه مقدَّما، وهو عربيٌّ جيّد كثير، كأنّهم إنَّما يقدّمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أغنى، وإن كانا جميعاً يُهِمّانِهم ويَعْنِيانهم [١]. وقد وصف عبد القادر الجرجاني أيضا هذا الباب بأنّه كثيرُ الفوائد جَمُّ المحاسن واسعُ التصرُّف بعيدُ الغاية. لا يزالُ يفتَرُّ لك عن بديعةٍ ويُفضي بكَ إلى لطيفةٍ. ولا تزالُ ترى شِعراً يروقُك مسمَعُه ويَلْطُف لديك موقعُه ثم تنظرُ فتجدُ سببَ أنْ راقك ولُطف عندك أن قُدِّم فيه شيءٌ وحُوِّل اللفظُ عن مكانٍ إلى مكان[١]وهذا الباب قد حُظي باهتمام كبير من قبل النحاة والبلاغيين على وجه الخصوص، يقول الدكتور محمد أبو موسى: يُعَدُّ مظهرا من مظاهر كثيرة تمثل قدرات إبانة، أو طاقات تعبيرية يديرها المتكلم اللَّقِن إدارة حية وواعية؛ فيسخرها تسخيرا منضبطا للإبانة عن معانيه ومقاصده، ومواقع الكلمات في الجملة عظيمة المرونة كما هي شديدة الحساسية، وأي تغيير يَحدث فيها يُحد ث تغييرات جوهرية في تشكيل المعاني وأحوالها وصورها وظلالها[٢]، فمرونة الكلمات وطواعيتها للتقديم والتأخير عاملا مهما من عوامل ثراء المعنى واتساعه، وإن كان الغرض من هذا التقديم والتأخير هو الاهتمام بأمر المقدم وتوكيده، إلا أنَّ التقديم والتأخير قد يقلب الجملة رأسا على عقب، ويغيّر دلالتها تغييرا جذريا تبعا لتغير الموقع ومن ذلك على سبيل المثال قولك: (عرفت على عجل كيف جئت) و(عرفت كيف جئت على عجل) فمعنى الجملة الأولى أنَّ المعرفة كانت على عجل، ومعنى الجملة الثانية أنَّ المجيء كان على عجل، وقد تغيَّر المعنى بحسب موقع الجار والمجرور[٣]. وقد تكلم تمام حسان عن العوارض بما يرادفه من المفردات بقوله: (إنَّ أصل وضع الجملة يشتمل أصول أخرى: مثل الذكر والإظهار والوصل والتضام والربط إلى جانب الرتبة والعامل، فتلك حزمة من الأصول التي تتضافر فيتكون منها وضع الجملة، ويمكن للعدول عن أصل وضع الجملة أن يكون بالعدول عن أي واحد من هذه الأصول بواسطة الحذف أو الإضمار أو الفصل أو تشويش الرتبة بالتقديم والتأخير أو التوسع في الإعراب)، [١] وقال في موضع آخر: الأصل الذكر، فإذا عدل عنه إلى الحذف وجب تقدير المحذوف من ركني الجملة، الأصل الإظهار، فإذا أُضمر أحد الركنين وجب تفسيره، الأصل الوصل وقد يعدل عنه إلى الفصل، الأصل الرتبة بين عناصر الجملة وقد يعدل عنها إلى التقديم والتأخير[٢] نستخلص ممَّا سبق أنَّ المراد من تقديم بعض العناصر وتأخير بعضها الآخر لأغراض بلاغية وذلك من أجل إنتاج الدلالات.

المطلب الثاني الأغراض التي يخرج إليها التقديم والتأخير

للتقديم والتأخير أغراض بلاغية ولطائف دلالية ونكت معنوية يتفطن لها من كانت لهم رياضة في قراءة الخطابات والنصوص العربية، إذ ينتج كل تقديم وتأخير دلالة جديدة تثري الخطاب وتوسع من معانيه المختلفة، خاصة القرآن الكريم الذي لا تخبو لطائفه وأسراره، بل تمتد وتتوسع مع اختلاف العصور والأحوال. فالتقديم والتأخير في القرآن الكريم ليس عبثًا بل جاء لأغراض ودلالات كثيرة وتوضيح المعنى المراد وفهمه.**وتنقسم الأغراض التي يخرج إليها التقديم والتأخير بحسب المسند والمسند إليه إلى عدَّة أغراض منها**:

١ - **الأغراض بحسب تقديم المسند إليه:**من المعلوم أنَّ مرتبة المسند إليه التقديم؛ لأنَّ مدلوله هو الذي يحضر أولًا في الذهن، لأنَّه المحكوم عليه، والمحكوم عليه سابق للحكم طبعا لذلك تقدم وضعا، ولذلك التقديم دواع عدَّة، منها:

- التشويق: وذلك بأن يكون في المسند إليه غرابة من شأنها أن تشوق المخاطب إلى معرفة المسند، لأنَّ المسند والمسند إليه متلازمان، ومن ذلك قول أبي العلاء :والذي حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد(١)

وهنا صاغ جملةً اسميّةً في تابع خبرها ما يحمل ضميراً يعود على مبتدئها المسند إليه، فتمّ له تقديم المسند إليه في جملته الاسميّة التي فيها تقوية وتوكيد. والداعي إلى هذا التقديم تمكينُ المسند في ذهن المتلقّي، لأنَّ في المسند إليه (المبتدأ) هنا تشويقاً للتعرّف على خبره، إذ جاء فيما يتّصل به أنّه شيءٌ حارتْ البريَّةُ بأمره، فالنفس تتساءل بشوق: ما هذا الذي حارت البريَّةُ فيه؟ ويأتي الجوابُ في الخبر: حيوانٌ مستحدثٌ من جماد، وهو الإنسانُ وسائرُ ما خلق الله من ترابٍ فنفخ فيه نسمة الحياة.(١)

- لتعجيل المسرّة أو المساءة؛ للتفاؤل أو التطيّر؛ نحو: سعد فى دارك، والسّفّاح في دار صديقك.
- الرغبة في تعجيل ذكره، لما يحصل في النفس من مشاعر لذة إذ هو محبوب لديها، ومعلوم أن يتلذذ بذكر اسم محبوبه (٢)
- أنَّه الأصل، ولا مقتضى للعدول عنه.
- إيهام أنَّه لا يزول عن البال لكونه مطلوبا، نحو: رحمة الله ترجى، نصر الله قريب.
- إفادة التخصيص إذا كان الخبر فعلا وولي المسند إليه حرف النفي، نحو: ما أنا قلت هذا، أي: لم أقله وهو مقول لغيري. لا تقول ذلك إلا في شيء ثبت أنه مقول، لكن تريد أن تنفي كونك قائلا له.
- التبرك به نحو: اسم الله اهتديت به. (٣)
- النص على عموم السلب أو سلب العموم: فالنص على عموم السلب يعني شمول النفي لكل فرد من أفراد المسند إليه، ويكون عادة بتقديم أداة من أدوات العموم على أداة نفي نحو:

كل قوي لا يهزم. ففي هذا المثال أداة عموم هي «كل» مقدمة على أداة نفي هي «لا»، والكلام هنا يفيد شمول السلب أو النفي لكل فرد من أفراد المسند إليه المتقدم، إذ المعنى: «لا يهزم أحد أو أي فرد من الأقوياء»، والسبب في إفادة الكلام شمول النفي هنا أنَّ أداة العموم بهذا الوضع تكون المتسلطة على النفي، العاملة فيه بكليتها، وذلك يقتضي عموم النفي وشموله. (١)

٢ - **الأغراض بحسب تأخير المسند إليه عن المسند** يقدّم المسند: إذا وجد باعث على تقديمه كأن يكون عاملاً نحو: قام علي، أو ممّا له الصدارة في الكلام، نحو: أين الطريق؟ أو إذا أريد به غرض من الأغراض الآتية:

– منها التّخصيص بالمسند إليه –نحو (لله مُلكُ السماوات والأرض).

– ومنها التنبيه من أوّل الأمر على أنه خبرٌ لا نعتٌ – كقول الشاعر :له همّ لا مُنتهى لكبارها وهمَّته الصغرى أجلُ من الدّهر(٢)فلو قيل «همم له» لتُوهّم ابتداءً كون «له» صفة لما قبله (١) ومنها التشويق للمتأخر، إذا كان في المتقدِّم ما يُشوِّق لذكره كتقديم المسند في قوله تعالى (إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب)

–(ومنها التفاؤل: كما تقول للمريض: (في عافية) أنتَ. (٢)

المطلب الثالث أحوال التقديم والتأخير من جهة المعنى والدلالة أربعة أحوال:

الأول: ما يفيد زيادة في المعنى مع تحسين في اللفظ، وهذا هو الغاية القصوى، والقرآن الكريم العمدة في ذلك، ومنه قوله تعالى: ﴿□□□ □□□□□□□□□﴾□□□□□□□□□□﴿□□﴾ ، فالجار والمجرور هنا قد أفاد التخصيص، وأن النظر لا يكون إلا لله، مع جودة الصياغة وتناسق السجع.

الثاني: ما يفيد زيادة المعنى فقط، كقوله تعالى:(بل اللهَ فاعبد و كن من الشاكرين) الزمر: ٦٦، فقدَّم المفعول هنا لتخصيصه جلَّ جلاله بالعبادة وينبغي ألا تكون لغيره، ولو قدَم لما أفاد ذلك[١]

الثالث :ما يتكافأ فيه التقديم والتأخير وليس لهذا الضرب شيء من الملاحة، كقول الشاعر:

كانت يدى ملأى به ثمَّ أصبحت بحمد إلهي وهي منه سليب[٢]فتقديره: ثمَّ أصبحت وهي منه سليب بحمد إلهي.

الرابع :ما يختل به المعنى ويضطرب، وذلك هو التعقيد اللفظي –أو المعاظلة التي تقدمت، كتقديم الصفة على الموصوف، والصلة على الموصول، أو نحو ذلك من الأنواع التي خرجت عن الفصاحة –ومنها قول الفرزدق.

إلى ملك ما أمه من محارب أبوه ولا كانت كليب تصاهره[١]

فتقديره: إلى ملك أبوه ما أمه من محارب، أي ما أم أبيه منهم، ولا شك أن هذا لا يفهم من كلامه للنظرة الأولى، بل يحتاج إلى تأمل وتريث ورفق، حتى يفهم المراد منه.[٢]

المطلب الرابع مفهوم نقض المراتب عند ابن جني

الرتبة كما عرفها الدكتور تمام حسان: قرينة لفظية وعلاقة بين جزأين مرتبين من إجزاء السياق يدل موقع كل منهما من الآخر على معناه[١] العوارض لغة: قال الأزهري:وكلُّ مانعٍ منعَكَ من شُغل وغيره من الأمراض فهو عارضٌ ، وقد عَرضَ عارضٌ ، أي حال حائلٌ ومنع مانع[٢] **اصطلاحا:** قال السيرافي: هو ما يعرض في الكلام فيجيء على غير ما ينبغي أن يكون عليه قياسه) [٣]، كما عرفه الدكتور تمام حسان بقوله: (هي الأمور التي تَعرِض للتركيب الأصلي للجملة ليخرج عن المألوف، فالخروج عن أصل الحرف أو أصل الكلمة أو أصل الجملة – بالحذف أو الزيادة أو بالإضمار – يُعدُّ من عوارض التركيب) [٤]وهذا المصطلح عند النحاة القدامى، وجاء مرادفًا لمصطلح العدول أو الترك، وقد تناول ابن جني هذا المفهوم في كتابه (الخصائص) وعقد له بابًا خاصًا تحت عنوان (نقض المراتب إذا عرض هناك عارض) وقد سمَّاها أكثر من اسم؛ مثل: الترك، العدول، العوارض، التغيير، التحول، وذلك تحت باب: "في العدول عن الثقيل إلى ما هو أثقل منه لضرب من الاستخفاف"، وباب: "في إقرار الألفاظ على أوضاعها الأول ما لم يَدْعُ داعٍ إلى الترك والتحول"، وأراد ابن جني بالمرتبة موقع الكلمة في الجملة الذي تستحقه كالفاعل الذي رتبته التقديم على المفعول، فيعرض عارض لتلك الرتبة فينقضها فيصبح من الواجب في بناء الجملة تأخير الفاعل، كما تحدث ابن جني عن التقديم والتأخير وعقد له فصلا سمَّاه (باب في شجاعة العربية)، ذكر فيه المواضع التي يجب فيه التقديم، والمواضع الجائزة، والمواضع الممتنعة، ومن المسائل التي ذكرها في باب (نقض المراتب):

–تقديم المفعول على الفاعل: قال ابن جني: (من ذلك امتناعهم من تقديم الفاعل في نحو ضرب غلامه زيدًا. فهذا لم يمتنع من حيث كان الفاعل ليس رتبته التقديم وإنما امتنع لقرينة انضمت إليه، وهي إضافة الفاعل إلى ضمير المفعول وفساد تقدم المضمر على مظهره لفظًا ومعنى. فلهذا وجب إذا أردت تصحيح المسألة أن تؤخر الفاعل فتقول: ضرب زيدًا غلامه) [١]، وعامة النحويين لا يجيزون عود الضمير على متأخر لفظاً ورتبه، إلا أنَّ ابن جني خالفهم في ذلك مستشهدا بقول الشاعر:

جزى ربه عني عدي بن حاتم جزاء الكلاب العاويات وقد فع [٢]

أجاز النحاة بالإجماع عود الضمير من المفعول على الفاعل المتأخر، ومنه بيت الشاهد، وإنَّما جاز ذلك؛ لأنَ الفاعل رتبته التقديم، وكأن الضمير قد عاد على متقدم في الرتبة وإن كان متأخرا في اللفظ[٣] فالهاء عند الجمهور عائدة على مذكور متقدم لئلا يتقدم ضمير المفعول عليه مضافاً إلى الفاعل، فيكون مقدماً عليه لفظاً ومعنى، وقد خالفهم ابن جنى بقوله: (وأما أنا فأجيز أن تكون الهاء عائدة على "عدي" خلافًا على الجماعة.) بعد قوله: (وأجمعوا على أنَّه لا يجوز)، يفيد أنَّه هو الذي خالف في تلك المسألة من بين النحويين، وقد وافق ابن مالك ابن جني بأنَّ ذلك ليس ممتنعا؛ لأنَّ الفعل المتعدي يدل على فاعل ومفعول، فشعور الذهن بهما مقارن لشعوره بمعنى الفعل، فإذا افتتح كلام بفعل، ووليه مضاف إلى ضمير علم أنَّ صاحب الضمير فاعل إن كان المضاف منصوبا، ومفعول إن كان المضاف مرفوعًا[١]، وجعل ابن هشام جواز ذلك في الشعر ضرورة[٢].يفهم من قول ابن جني –أيضاً –أن السر في جواز: (ضرب غلامه زيداً) عنده إنَّما هو كثرة تقديمهم المفعول على الفاعل؛ فصار الموضع له، فكأنه قد قدم وكأنه قد قال: (ضرب زيداً غلامه)؛ وهذا شبيه بباب: "غلبة الفروع على الأصول"؛ الذي عقده لجعل المشبه به مشبهاً، والمشبه مشبهاً به، ثم بعد ذلك يعضد ابن جني رأيه بقوله: قد شاع عنهم واطرد من مذاهبهم كثرة تقدم المفعول على الفاعل حتى دعا ذاك أبا علي إلى أن قال: إن تقدم المفعول على الفاعل قسم قائم برأسه، كما أن تقدم الفاعل قسم – أيضاً – قائم برأسه" وإن كان تقديم الفاعل أكثر، وقد جاء به الاستعمال مجيئاً واسعاً، نحو قول الله عز وجل:(إنما يخشى اللهَ من عباده

العلماءُ) [فاطر: ٢٨]. ثمَّ ذكر بعد ذلك: والأمر في كثرة تقديم المفعول على الفاعل في القرآن، وفصيح الكلام متعالم غير مستنكر؛ فلما كثر وشاع تقديم المفعول على الفاعل كان الموضع له؛ حتى إنه إذا أخر، فموضعه التقديم، ثم يختم رأيه بقوله: ولا تستنكر هذا الذي صورته لك، ولا يخف عليك؛ فإنه مما تقبله هذه اللغة، ولا تعافه، ولا تتبشعه[٣]ومن المسائل التي ذكرها ابن جني في باب نقض المراتب المفعول في الاستفهام والشرط فإنهما يجيئان مقدمين على الفعلين الناصبين لهما، يقول ابن جني:(ومما نقضت مرتبته المفعول في الاستفهام والشرط فإنهما يجيئان مقدمين على الفعلين الناصبين لهما وإن كانت رتبة المعمول أن يكون بعد العامل فيه) [١]ومن ذلك قوله تعالى:(وسيعلم الذين كفروا أيَّ منقلب ينقلبون)الشعراء: ٢٢٧ف " أي منقلب " منصوب على المصدر بـ "ينقلبون " لا بـ "سيعلم " ، وعلة وجوب التقديم هنا كما ذكر ابن جني هي وجوب تقدم الأسماء المستفهم بها والأسماء المشروط بها. فهذا من النقض العارض، أو كما ذكر الجرجاني: (تقديمٍ يقالُ إنه على نيَّةِ التأخير وذلك في كلِّ شيءٍ أقررْتَه معَ التقديمِ على حُكمهِ الذي كان عليه وفي جنسهِ الذي كانَ فيه) [٢] . ومن المسائل التي ذكرها ابن جني في باب نقض المراتب وجوب تأخير المبتدأ إذا كان نكرة وكان الخبر عنه ظرفًا نحو قولهم: عندك مال وعليك دين وتحتك بساطان ومعك ألفان، قال ابن جني: (ترى أنك لو قلت: غلام لك أو بساطان تحتك ونحو ذلك لم يحسن، لا لأنَّ المبتدأ ليس موضعه التقديم لكن لأمر حدث وهو كون المبتدأ هنا نكرة ألا تراه لو كان معرفة لاستمر وتوجه تقديمه فتقول: البساطان تحتك والغلام لك. أفلا ترى أنَّ ذلك إنَّما فسد تقديمه لما ذكرناه: من قبح تقديم المبتدأ نكرة في الواجب ولكن لو أزلت الكلام إلى غير الواجب لجاز تقديم النكرة كقولك: هل غلام عندك وما بساط تحتك فجنيت الفائدة من حيث كنت قد أفدت بنفيك عنه كون البساط تحته واستفهامك عن الغلام: أهو عنده أم لا؟ إذ كان هذا معنى جليًا مفهومًا)[٣] .قال سيبويه: (فأصلُ الابتداء للمعرفةِ. فلما أدخلتَ فيه الألف واللام وكان خبراً حَسُنَ الابتداءُ، وضَعُفَ الابتداءُ بالنكرة إلاَّ أن يكون فيه معنى المنصوب)[١]، وعلّل ابن الشجري لضعف الابتداء بالنكرة بقوله: (وإنما ضعف الابتداء بالنكرة، لأنَّ النفس تتنبّه بالمعرفة على طلب الفائدة، وإذا كان المخبر عنه مجهولا، كان المخبر حقيقا باطراح الإصغاء إلى خبر من لا يعرفه، وحدّ الكلام إذا كان المبتدأ منكورا، وتضمن خبره اسما معروفا، أن يقدم الخبر، كقولك: لزيد مال، لأن الغرض في كل خبر أن يتطرق إليه بالمعرفة، فيصدّر الكلام به) [٢]ويجب الإشارة إلى أنَّ الإعراب له دور واضح في حرية الرتبة في العربية، وبخلافه فإنَّه من الواجب احترام الرتبة، فالتقديم والتأخير وحريتهما في الجملة يخضعان لضابط الإعراب وإلا فلا يكون هناك تقديم ولا تأخير إذا غاب هذا الضابط.

الخاتمة:

لقد حاول هذا البحث أن يسلط الضوء على ظاهرة تعتبر من أهم الظواهر النحوية دورانا في الكلام العربي التي سمَّاها ابن جني بـ(نقض المراتب)، والمتعارف عليها بـ(التقديم والتأخير)، وقد حاولت أن أقدم تصورا وجيزا لهذه الظاهرة والأهداف الدلالية التي تخرج إليها، ومن أهم التصورات التي توصل إليها الباحث:

١- تعدّ هذه الظاهرة وسيلة لإثراء الفكر اللغوي بصفة عامة، والفكر البلاغي بصفة خاصة، وتتمثل حول اختلاف الآراء الواردة في غرض التقديم والتأخير.

٢- أراد ابن جني بالمرتبة موقع الكلمة في الجملة الذي تستحقه كالفاعل الذي رتبته التقديم على المفعول، فيعرض عارض لتلك الرتبة فينقضها فيصبح من الواجب في بناء الجملة تأخير الفاعل، ثم ذكر أنَّ كثرة تقديم المفعول على الفاعل في القرآن، وفصيح الكلام متعالم غير مستنكر؛ فلما كثر وشاع تقديم المفعول على الفاعل كان الموضع له؛ حتى إنه إذا أخر، فموضعه التقديم.

٣- بالرغم من اختلاف الغرض من التقديم والتأخير والتي منها: الاهتمام بأمر المقدم وتوكيده، إلا أنَّ التقديم والتأخير قد يقلب الجملة رأسا على عقب، ويغيِّر دلالتها تغييرا جذريا تبعا لتغير الموقع.

٤- إنَ اختلاف رتبة الكلمة في الجملة من حيث التقديم والتأخير يؤدي إلى اختلاف الدلالة.

وآخر دعوانا إن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ثبت المصادر والمراجع

❖ **القرآن الكريم**

١- الكتاب لعمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (المتوفى: ١٨٠هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٢- دلائل الاعجاز ، لأبي بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٩٩٥، المحقق: د.محمد التنجي..
٣- دلالة التراكيب دراسة بلاغية، د. محمد أبو موسى، طبعة مكتبة وهبة الثالثة ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤ م.
٤- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي (المتوفى: ٧٧٣ هـ)، المحقق: الدكتور عبد الحميد هنداوي،المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان،الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.
٥- الإيضاح في علوم البلاغة لمحمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: ٧٣٩هـ)، المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل – بيروت، الطبعة الثالثة، ص:٥١/٢، وعلم المعاني لعبد العزيز عتيق (المتوفى: ١٣٩٦ هـ)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان،الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، ص:١٣٧،
٦- البلاغة العربية أساسها وعلومها وفنونها، دار القلم دمشق، ط١، ١٩٩٦م.
٧- علم المعاني، لعبد العزيز عتيق (المتوفى: ١٣٩٦ هـ)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
٨- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، لأحمد الهاشمي.
٩- معاني القرآن، د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ص:١٥٤/١.
١٠- الكامل في اللغة والأدب محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (المتوفى: ٢٨٥هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي – القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.
١١- علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع»، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ).
١٢- شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي الحسن بن عبد الله بن المرزبان (المتوفى: ٣٦٨ هـ)، المحقق: أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٨ م.
١٣- اجتهادات لغوية لتمام حسان، عالم الكتب القاهرة، ط١،سنة ٢٠٠٧.
١٤- لسان العرب لمحمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور،ج١،دار، صادر، بيروت،١٩٩٤، مادة (ر،ت،ب).
١٥- الصحاح للجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ج ١،دار العلم للملايين، القاهرة، ط ٣، ٩٨٤.
١٦- معجم المصطلحات النحوية والصرفية، محمد سمير نجيب اللبدي، مؤسسة الرسالة، بيروت.
١٧- اللغة العربية معناها ومبناها، لتمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط٣، ١٩٩٨م.
١٨- : الظواهر اللغوية في التراث النحوي، لعلي أبو المكارم، دار غريب، القاهرة، ط١، ١٩٦٨، ص:٢١٨-٢٢٠.
١٩- أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، فاضل مصطفى الساقي، ج١، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د، ط)، ١٩٧٧.
٢٠- علم المعاني، لعبد العزيز عتيق (المتوفى: ١٣٩٦ هـ)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
٢١- البيان في روائع القرآن؛ للدكتور تمام حسان.
٢٢- تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري(٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي بيروت ٢٠٠١م.
٢٣- المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية: بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى العيني (المتوفى ٨٥٥ هـ)، تحقيق: أ. د. علي محمد فاخر، أ. د. أحمد محمد توفيق السوداني، د. عبد العزيز محمد فاخر، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة – جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.
٢٤- البديع في علم العربية، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦ هـ)، تحقيق ودراسة: د. فتحي أحمد علي الدين، الناشر: جامعة أم القرى، مكة المكرمة – المملكة العربية السعودية
٢٥- الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ.

٢٦- شرح المفصل للزمخشري، المؤلف: يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (المتوفى: ٦٤٣هـ)، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

٢٧- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، قاضي القضاة بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري الهمداني، سنة الولادة ٦٩٨هـ/ سنة الوفاة ٧٦٩هـ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر دار الفكر-سوريا، سنة النشر ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

٢٨- الخصائص، أبو الفتح عثمان ابن جني، سنة الولادة / سنة الوفاة ٣٩٢هـ، تحقيق محمد علي النجار، الناشر عالم الكتب-بيروت.

٢٩- شرح الكافية الشافية، المؤلف: محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (المتوفى: ٦٧٢هـ)، المحقق: عبد المنعم أحمد هريدي، الناشر: جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة، الطبعة: الأولى.

٣٠- أمالي ابن الشجري، المؤلف: ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة، المعروف بابن الشجري (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: الدكتور محمود محمد الطناحي الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩١ م.

٣١- ديوان الفرزدق، نشر الصاوي (١٣٥٤ هـ) – دار صادر، بيروت.

البحوث والرسائل

١- نقض المراتب في النحو العربي (أغراضه وآثاره الدلالية) د. يوسف محمد سعود عويهان العنزي، جامعة الكويت .

٢- التقديم والتأخير وأثرهما في إنتاج الدلالة في سورة البقرة (رسالة ماجستير) للطالبتين: تونس الوارد، ونور الهدى روابح، جامعة العربي التبسي-تبسة .

هوامش البحث

(١) لسان العرب لمحمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور،ج١،دار، صادر، بيروت،١٩٩٤، مادة(ر،ت،ب)، ص:٤٠٩.

(٢) الصحاح للجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ج ١،دار العلم للملايين، القاهرة، ط ٣، ٩٨٤ ،ص:١٣٣.

(٣) ينظر: معجم المصطلحات النحوية والصرفية، محمد سمير نجيب اللبدي، مؤسسة الرسالة، بيروت،ص:٩٢.

(١) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، لتمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط٣، ١٩٩٨ص:٢٠٧.

(٢) أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، فاضل مصطفى الساقي، ج١، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د، ط)، ١٩٧٧، ص:١٨٦.

(٣) ينظر: الظواهر اللغوية في التراث النحوي، لعلي أبو المكارم، دار غريب، القاهرة، ط١، ١٩٦٨، ص:٢١٨-٢٢٠.

(٤) ينظر: المصدر السابق، ص:٢٢١.

(١) الكتاب ٣٤/١، لعمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (المتوفى: ١٨٠هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

(١) دلائل الاعجاز:٩٧، لأبي بكر عبد القاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٩٩٥، المحقق: د.محمد التنجي.

(٢) دلالة التراكيب دراسة بلاغية، د. محمد أبو موسى، طبعة مكتبة وهبة الثالثة ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤ م ص١٧٦، وينظر: بحث بعنوان : نقض المراتب في النحو العربي (أغراضه وآثاره الدلالية) د. يوسف محمد سعود عويهان العنزي، جامعة الكويت ص٣٥١.

(٣) المصدر السابق : ٣٤٩.

(١) اجتهادات لغوية(٨٣)

(٢) المصدر السابق: ١٢١

(١) البيت لأبي العلاء المعري وليس في ديوانه، ينظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي (المتوفى: ٧٧٣ هـ)، المحقق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، ص:١٧٤/١.

(١) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة لمحمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: ٧٣٩هـ)، المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل – بيروت، الطبعة الثالثة، ص:٢/٥١، وعلم المعاني لعبد العزيز عتيق (المتوفى: ١٣٩٦ هـ)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م، ص:١٣٧، والتقديم والتأخير وأثرهما في إنتاج الدلالة في سورة البقرة (رسالة ماجستير) ص:١٤.

(٢) البلاغة العربية أساسها وعلومها وفنونها، دار القلم دمشق، ط١، ١٩٩٦م، ص:٣٦٤.

(٣) علوم البلاغة، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، ص:١٠٢.

(١) علم المعاني، لعبد العزيز عتيق (المتوفى: ١٣٩٦ هـ)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م، ص:١٣٨.

(٢) البيت لإبراهيم بن المهدي يرثي ابنه مات في البصرة، ينظر: الكامل في اللغة والأدب محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (المتوفى: ٢٨٥هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي – القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م، ص:٤/٢٠.

(١) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، لأحمد الهاشمي، ص:١/١٢٤.

(٢) المصدر السابق: ص:١/١٣٦.

(١) نقض المراتب في النحو العربي: ص:٣٥٢.

(٢) البيت لإبراهيم بن المهدي يرثي ابنه مات في البصرة، ينظر: الكامل في اللغة والأدب محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (المتوفى: ٢٨٥هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي – القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م، ص:٤/٢٠.

(١) ديوانه:١/٢٤٨.

(٢) علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع»، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، ص:١٠٠.

(١) اللغة العربية معناها ومبناها،٢٠٩

(٢) تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري(٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي ١/٢٨٩.

(٣) شرح كتاب سيبويه للسيرافي:١/١٧٩.

(٤) البيان في روائع القرآن؛ للدكتور تمام حسان، ص ٨٣.

(١) البيان في روائع القرآن للدكتور تمام حسان، ٨٣.

(٢) قيل: إن قائله هو النابغة الذبياني، وقال أبو عبيدة: قائله هو عبد الله بن همارق أحد بني عبد الله بن غطفان، وحكى الأعلم أنه لأبي الأسود الدؤلي يهجو عدي بن حاتم الطائي، وقد قيل: إن قائله لم يعلم، ينظر: المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية: ٢/٩٤٩.

(٣) ينظر: البديع في علم العربية:١/٩٩-١٠٠،وشرح المفصل لابن يعيش:١/٢٠٣،شرح ابن عقيل:٢/١٠٥.

(١) شرح الكافية الشافية لابن مالك:٢/٥٨٥.

(٢) شرح شذور الذهب:١٧٧.

(٣) الخصائص:١/٢٩٤-٢٩٨.

(١) الخصائص:١/٢٩٩.

(٢) دلائل الإعجاز:٩٦.

(٣) الخصائص:١/٣٠٠.

(١) الكتاب:١/٣٢٩.

(٢) أمالي ابن الشجري:٦٩.